

دلائل الإعجاز

مضروباً . وإن جاء شيءٌ من ذلك جاء على تعسُّفٍ فيه وتأويلٍ لا يُتصَّـور هاهنا وذلك أن يقالَ مثلاً : زيدٌ هو المظلومُ على معنى أنه لم يُضربْ أحداً ظلمُ يبلغ في الشَّـدَّةِ والشَّـنَاعَةِ الظلمَ الذي لَحِقَهُ فصار كلُّ ظلمٍ سِوَاهُ عَدَلاً في جنبه . ولا يجيءُ هذا التأويلُ في قولنا : أنتَ الحبيبُ لأنَّنا نعلمُ أنَّهم لا يريدون بهذا الكلام أن يقولوا : إنَّ أحداً لم يُحبَّ أحداً مَحَبَّتِي لكَ . وإنَّ ذلك قد أبطل المحبَّاتِ كُلَّـهَا حتى صرَّتْ الذي لا يُعقل للمحبةِ معنًى إلاَّ فيه . وإنَّما الذي يريدون أنَّ المحبةَ مني بجملتها مقصورةٌ عليكَ وأنه لَيْسَ لأحدٍ غيركَ حظٌّ في محبةٍ مني . وإذا كان كذلك بانَّ أنَّهُ لا يكونُ بمنزلةِ " أنتَ الشجاعُ " . تريدُ الذي تكاملَ الوصفُ فيه . إلاَّ أنَّه يَنْبَغِي من بَعْدُ أن تعلمَ أنَّ بين " أنتَ الحبيبُ " وبين " زيدُ المنطلقُ " فرقاً وهو أنَّ لك في المحبة التي أثبتَّـها طرفاً من الجنسية من حيثُ كان المعنى أن المحبَّةَ مني بجملتها مقصورةٌ عليكَ ولم تعمَدْ إلى محبةٍ واحدةٍ من محبَّاتِكَ . ألا ترى أنَّكَ قد أعطيتَ بقولكَ : أنتَ الحبيبُ أنك لا تحبُّ غيرَه وأنَّ لا محبةَ لأحدٍ سِوَاهُ عندَكَ ولا يُتصوَّر هذا في " زيدُ المنطلقُ " لأنه لا وجهَ هناك للجنسيةِ إذ ليس ثَمَّ إلا انطلاقُ واحدٍ قد عَرَفَ المخاطَبُ أنه كان واحتاجَ أن يعيَّنَ له الذي كان منه ويَنْصَرِّحَ له عليه . فإن قلتَ : زيدُ المنطلقُ في حاجتكَ تريدُ الذي من شأنه أن يَسْـُـعَى في حاجتكَ عرضَ فيه معنى الجنسية حينئذٍ على حِدِّـها في " أنتَ الحبيبُ " . وهاهنا أصلُ يجب أن تُحْكَمَهُ وهو أنَّ من شأنِ أسماءِ الأجناسِ كُلِّـها إذا وصِفَتْ أن تتنوَّعَ بالصفةِ فيصيرُ الرجلُ الذي هو جنسٌ واحدٌ إذا وصِفَتْـه فقلتَ : " رجلٌ طريفٌ ورجلٌ قصيرٌ ورجلٌ شاعرٌ ورجلٌ كاتبٌ " أنواعاً مختلفةً يُعَدُّ كلُّ منها شيئاً على حِدَةٍ . ويُسَمَّى نَفُ في اسم الرجل بكلِّ صفةٍ تقرُّنُها إليه جنسيةً . وهكذا القولُ في المصادر تقول : العِلْمُ والجهلُ والضربُ والقتلُ والسَّـيرُ والقيامُ والقعودُ . فتجدُ كلَّ واحد من هذه المعاني جنساً كالرجل والفرس والحصان . فإذا وصِفَتْ فقلتَ : عِلْمٌ كذا وعِلْمٌ كذا كقولكَ : عِلْمٌ